بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي منَّ على المسلمين بإنزال القرآن الكريم ، وتكفَّل بحفظه في الصدور والسطور إلى يوم الدين ، وجعل من تتمة حفظه حفظ سُنة سيد المرسلين .

والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا محمد الذي أُوكِلَ الله إليه تِبْيانَ ما أراده من التنزيل الحكيم بقوله تعالى « وأنزلنا إليك الذِّكر لتبين للناس ما نُزِّل إليهم ولعلهم يتفكرون » [1] فقام صلى الله عليه وسلم مبيناً له بأقواله وأفعاله وتقريراته بأسلوب واضح مبين .

والرِّضَى عن الصحابة الذين تلقوا السنة النبوية عن النبي الكريم، فوعوها ، ونقلوها للمسلمين كما سمعوها خالصة من شوائب التحريف والتبديل .

والرحمةُ والمغفرة للسلف الصالح الذين تناقلوا السنة المطهرة جيلا عن جيل ، ووضعوا لسلامة نقلها وروايتها قواعد وضوابط دقيقة لتخليصها من تحريف المبطلين .

والجزاء الخَيِّر لمن خلف السلف من علماء المسلمين الذين تلقوا قواعد رواية السنة وضوابطها عن السلف، فهذبوها ورتبوها وجمعوها في مصنفات مستقلة سميت فيما بعد بـ « علم مصطلح

(١) من سورة النحل ـ الآية : ٤٤

الحديث » (١) .

أما بعد : فعندما كُلِّفْتُ منذ سنوات بتدريس علم « مصطلح الحديث » في كلية الشريعة بالجامعة الاسلامية في المدينة المنورة وكان المقرر تدريس كتاب « علوم الحديث » لابن الصلاح ، ثم قرر بدله مختصره كتاب « التقريب » للنووي ، وجدت مع الطلبة بعض الصعوبات في دراسة هذين الكتابين ـ على جلالتهما وغزارة فوائدهما ـ دراسة نظامية ، من هذه الصعوبات ، التطويل في بعض الأبحاث ، لا سيما في كتاب ابن الصلاح (٢) . ومنها الاختصار في البعض الآخر ، لا سيما في كتاب النووي (٣) ، ومنها صعوبة العبارة ، ومنها عدم تكامل بعض الأبحاث (٤) ، وذلك كترك التعريف مثلا أو إغفال المثال أو عدم ذكر الفائدة من هذا البحث أو ذاك ، أو عدم التعريج على ذكر أشهر المصنفات ، وما أشبه ذلك . ووجدت غيرهما من كتب الأقدمين في هذا الفن كذلك ، بل إن بعض تلك الكتب غير شامل لجميع علوم الحديث ، وبعضها غير مهذب ولا مرتب ، وعذرهم في ذلك هو إما وضوح الأمور التى تركوها بالنسبة لهم ، أو الحاجة لتطويل بعض الأبحاث بالنسبة لزمنهم ، أو غير ذلك مما نعرفه أو لا نعرفه .

فرايت أن أضع بين أيدي الطلبة في كليات الشريعة كتاباً سهلا في مصطلح الحديث وعلومه ، ييسر عليهم فهم قواعد الفن

(١) يطلق على هذا العلم أيضا « علم الحديث دراية » و « علوم الحديث » و « أصول الحديث » .

(٢) كبحث « معرفة كيفية سماع الحديث وتحمله وصفة ضبطه » فقد استغرق/٤٦/صفحة .

(٣) كبحث « الضعيف » مثلا اذ لم يتجاوز تسع عشرة كلمة .

(٤) مثال ذلك اقتصار النووي في بحث المقلوب على ما يلي : « المقلوب : هو نحو حديث مشهور عن سالم جعل عن نافع ليرغب فيه ، وقلب أهل بغداد على البخاري مائة حديث امتحانا فردها على وجوهها فاذعنوا بفضله »

ومصطلحاته ، وذلك بتقسيم كل بحث إلى فقرات مرقمة متسلسلة • مبتدئا بتعريفه، ثم بمثاله، ثم بأقسامه مثــلا ••• مختتماً بفقرة « أشهر المصنفات فيه » كل ذلك بعبارة ســهلة ، وأسلوب علمي واضح ليس فيه تعقيد ولا غموض ، ولم أعرّج على كثـير من الخلافات والأقوال وبسط المسائل، مراعاة للحصص الزمنية القليلة المخصصة لهذا العلم في كليات الشريعــة وكليات الدراســات الإسلامية •

وسميته « تيسير مصطلح الحديث » ولست أرى أن هذا الكتاب يغني عن كتب العلماء الأقدمين في هذا الفن ، وإنما قصـدت أن يكون مفتاحاً لها ، ومذكراً بما فيها ، وميسراً للوصـول إلى فهم معانيها • وتظل كتب الأئمة والعلماء الأقدمين مرجعاً للعلمــاء والمتخصصين في هذا الفن ، ومَعيناً فياضاً ينهلون منه •

ولا يفوتني أن أذكر أنه صدر في الآونة الأخيرة كتب لبعض الباحثين فيها الفوائد الغزيرة لا سيما الرد على شـبه المستشرقين والمنحرفين ، لكن بعضها مطول ، وبعضها مختصر جداً ، وبعضها غير مستوعب ، فأردت أن يكون كتابي هذا وســطاً بين التطويل والاختصار، ومستوعباً لجميع الأبحاث •

والجديد في كتابي هذا هو :

١ ــ التقسيم ، أي تقسيم كل بحث إلى فقرات مرقمة ، ممــا يسهل على الطالب فهمه (١)

(١) لقد استفدت في موضوع تقسيم البحث الى فقرات من كبار أســاتذتي كالأستاذ مصطفى الزرقاء في كتابه « الفقه الاســلامي في ثوبه الجديد » والأستاذ الدكتور معروف الدواليبي في كتابه « أصول الفقه » والأستاذ الدكتور محمد زكي عبدالبر في مذكرة وضعها لنا ــ عندما كنا طلاباً في كلية الشريعة بجامعة دمشق ــ على كتاب الهداية للمرغيناني فـكان لهذا التقسيم المبتكر أعظم الأثر في فهم تلك العلوم بسهولة ويسر بعد أن كنا نقاسي كثيراً في فهمها واستيعابها •

٢ ـ التكامل في كل بحث من حيث الهيكل العام للبحث ، من ذكر التعريف والمثال والخ ...

٣ ـ الاستيعاب لجميع أبحاث المصطلح بشكل مختصر .

أما من حيث التبويب والترتيب فقد استفدت من طريقة الحافظ ابن حجر في النخبة وشرحها، فانه خير ترتيب توسل إليه ـ رحمه الله ـ وكان جل اعتمادي في المادة العلمية على « علوم الحديث » لابن الصلاح ، ومختصره « التقريب » للنووي ، وشرحه « التدريب » للسيوطي .

وجعلت الكتاب من مقدمة وأربعة أبواب ، الباب الأول في الخبر ، والباب الثاني في الجرح والتعديل ، والباب الثالث في الرواية وأصولها ، والباب الرابع في الإسناد ومعرفة الرواة .

وإنني إذ أقدم هذا الجهد المتواضع لأبنائنا الطلبة اعترف بعجزي وتقصيري في إعطاء هذا العلم حقه ولا أبرىء نفسي من الزلل والخطأ ، فالرجاء ممن يطلع فيه على زلة أو خطأ أن ينبهني عليه مشكوراً . لعلي أتداركه. وأرجو الله تعالى أن ينفع به الطلبة والمشتغلين بالحديث، وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم .